

## الخروج عن الإطار.. مغامرة غير محسوبة

المساحات الفنية المستقلة في القاهرة تواجه حصارا من الفنانين الرسميين

خلال العقود الثلاثة الماضية شهدت القاهرة تناميا ملحوظا للقاعات والمساحات الفنية الخاصة والمستقلة، وقد ساهم وجود هذه المساحات الفنية في كسر احتكار الدولة للنشاط الفني، ولو شكلنا على الأقل، فقد ظل الجانب الأكبر من هذه القاعات والمساحات الجديدة معتمدا على أذواق النخبة المصرية، وتماهى في الكثير من الأحيان مع سياسات المؤسسة الرسمية وتبنيها لتوجهات بعينها في الممارسة الفنية. لكنه مؤخرا عاد ليوجه حصارا رسميا غير مسبوق.

ناهد خزام  
كاتبة مصرية



تبرز مدارك ذلك الدور الفاعل الذي تمثله المؤسسات المستقلة المعنية بالفنون في دعم الحراك الثقافي والفني، وقدرتها على التنظيم والاستمرار، فمنذ ظهورها استطاعت بإمكانياتها الضئيلة التغلب على الكثير من العقبات التي واجهتها، ومثلت فضاء حرا للعديد من المواهب الشابة لعرض الأفكار والتجريب والتفاعل مع الراهن السياسي والاجتماعي والثقافي، عن طريق العديد من الممارسات الفنية غير التقليدية.

على وجهه المبني الذي احتل مدارك الطابق الثاني منه في وسط القاهرة، يستقبل وجه فوتوغرافي ظهر كجزء من ديكور مسرحية "المتزوجون" وهي إحدى المسرحيات الكوميديّة الشهيرة التي قدمت في سبعينات القرن الماضي. وجه الرجل المسن ذو الملامح المميزة يبدو مألوقا وحميميا. تستدعي الصورة هنا على نحو ما تلك الأجاسيس والمشاعر والخبرات البصرية المرتبطة برويتها الأولى. هكذا تفاعل الصورة حين تتداخل تفاصيلها في الذاكرة، فلا يتوقف تأثيرها عند حدود اللحظة الراهنة. تنشي الصورة بنشاط هذه المساحة الصغيرة، هذا النشاط الفني الذي يعتنق في المقام الأول على الصورة بكافة تجلياتها، من فوتوغرافيا وفيديو وأفلام تحريك وغيرها.

مساحة أخرى ذات طابع مختلف وهي مساحة "أرت اللوا" المخصصة لعرض وتقديم الفنون المعاصرة والتي أسسها الفنان المصري حمدي رضا عام 2006، وتحولت مع الوقت إلى واحدة من أهم المساحات الفنية العاملة بالعاصمة المصرية.

تحمل تجربة أرت اللوا مزيجا من الجراة والدهشة، لكونها الوحيدة بين المساحات الفنية العاملة في القاهرة التي تقدم نشاطها من قلب العشوائيات. توجد القاعة في منطقة "أرض اللوا" وتد استلمت مؤسسها الاسم "أرت اللوا" وتعد هذه المنطقة إحدى أكثر المناطق العشوائية المحيطة بالقاهرة ازدحاما بالسكان. تبدو القاعة وسط هذه العشوائيات كيانا مثيرا للدهشة.

## أنشطة المؤسسات والقاعات الخاصة أضحت

محط أنظار ومراقبة الدولة تماشيا مع سياسة الاستحواذ والسيطرة التي تبنتها أخيرا

لا تقتصر هذه الدهشة على سكان الحي وحدهم، بل هي دهشة تنتاب كثيرا من المثقفين والمهتمين أيضا؛ فالمساحة الفنية الصغيرة التي أنشأها رضا تبدو من بعيد كأحد المحال التجارية، ولكن ما إن تقترب منها حتى تفاجأ بان البضاعة المعروضة بها مختلفة تماما؛ فتمت رسومات معلقة على الجدران، وصور فوتوغرافية غير مألوفة تبديل بين الحين والآخر، أو ربما يشد انتباهك أحد أعمال التوليف بين عدة عناصر ووسائل فنية مختلفة.

تتبدل هذه المعارضات بين الحين والآخر، كما تحول المقهى الصغير

القريب من القاعة إلى امتداد طبيعي لها، يلتقي فيه رواد القاعة من المصريين والأجانب بين ادخنة الشيشة وصخب الشارع الضيق. كل هذه الأمور كان من شأنها أن تثير انتباه الناس في هذا الحي الشعبي حين بدأ رضا نشاطه.

تتبدل هذه المعارضات بين الحين والآخر، كما تحول المقهى الصغير

القريب من القاعة إلى امتداد طبيعي لها، يلتقي فيه رواد القاعة من المصريين والأجانب بين ادخنة الشيشة وصخب الشارع الضيق. كل هذه الأمور كان من شأنها أن تثير انتباه الناس في هذا الحي الشعبي حين بدأ رضا نشاطه.



محاولات لحصار الفن المعاصر



الفن لا يمكن تنميته

مختلفة كالعروض المسرحية والسينمائية والموسيقية والغنائية، والمعارض الفنية، إضافة إلى اللقاءات والندوات وورشات العمل. فقد اعتمد منظمو هذه المهرجانات وغيرها على المساحات الثقافية في منطقة وسط البلد، مستخدمين أماكن غير تقليدية أحيانا، كالأبنية التاريخية وقاعات العرض والأزقة الضيقة، كمواقع لعروض والأحداث الفنية. يتم النظر هنا إلى منطقة وسط البلد بالقاهرة كنقطة التقاء طبيعية للفنانين من الشرق والغرب، بما تحمله من أطرزة معمارية خاصة، وحكايات تاريخية، وكبيئة ملهمة لهذا النوع من النشاط الثقافي المستقل أو المسوّز، والذي يتجاوز دوره وتأثيره في الكثير من الأحيان تأثير المؤسسة الثقافية الرسمية.

ربما لهذا تحديدا باتت أنشطة هذه المؤسسات والقاعات محط أنظار ومراقبة الدولة، تماشيا مع سياسة الاستحواذ والسيطرة التي تبنتها أخيرا. وبعد أن كانت الدولة تسمح بهامش معقول لهذا النشاط أو غيره، أصبحت فكرة الخروج عن الإطار العام، أو التمرد على النمطية السائدة في الممارسة الفنية أشبه بمغامرة غير محسوبة النتائج.

فهل ستشهد السنوات القادمة عودة المؤسسة الرسمية في مصر لسيطرتها على معظم النشاط الفني؟ يبدو أننا بالفعل مقلوبون على شيء من هذا القبيل، غير أن هذه السيطرة والاحتكار للنشاط الفني سيكون بلا شك محقوقا بالمخاطر على مستقبل الحركة الفنية في مصر، إذا ما وضعنا في الاعتبار ما يشوب هيكل هذه المؤسسة من خلل، وما تنسم به البنية عملها من تكس، كنتيجة طبيعية للبيروقراطية الحكومية والحسوبة، وهو ما قد يؤشر إلى مرحلة من الركود والتراجع.

ومرافق تقنية واحترافية سعيًا إلى تنمية الإمكانات المحلية الإقليمية لحدث بصري موسع ومؤثر. كما تحضن البرامج الفنية المعاصرة في المركز جميع الوسائط، هادئة إلى إفراز سباقات تقنية لعدد من الممارسات من خلال المعارض وبرامج الإقامة والمشروعات الخاصة. ويظل العمل خارج المنطق المؤسسي في صميم التساؤلات التي يطرحها مركز الصورة المعاصرة على نحو عام، وتترجم هذه التساؤلات لخلق بيئات تعزز الأفكار والممارسات والخطابات المتصلة بالفن المعاصر على أوسع نطاق. يشمل نشاط المركز كذلك العمل على مجموعة متنوعة من وسائل التجريب على الصورة الفوتوغرافية، من المرح بين الصور والرسوم ووسائل الطباعة المختلفة، إلى الدمج بينها وبين النصوص المكتوبة، في محاولة للوصول كما يقول القائمون عليه إلى استكشاف العلاقة بين المرئي والمحسوس عن الرؤية، أو ما هو قابل للرؤية وما هو مخفي عنها.

## الرقابة الرسمية

لم يقتصر النشاط الفني المستقل خلال العقود الأخيرة على المساحات الفنية في هيئتها المؤسسية فقط، بل شمل أيضا جهودا حثيثة لبث روح العمل الجماعي بين هذه المؤسسات المستقلة المعنية بالفن وغيرها من المؤسسات المستقلة الأخرى في مجالات مختلفة كالمسرح والسينما والرقص المعاصر، وغيرها من الفنون. وقد ترجمت هذه الجهود على هيئة مهرجانات أو أنشطة فنية جماعية تطمح إلى استغلال هذا الفراغ المعماري لوسط المدينة، كمهرجان الكوميكس، وفعاليات الفن ميدان، ومهرجان دي كاف، وهي فعاليات تضم نشاطات فنية

كما أن نشاطها لا يقتصر على الفنون البصرية وحدها بل يمتد إلى المسرح أيضا، بتخصيصها جزءا من مساحتها للعروض المسرحية التجريبية وهو "مسرح روابط" الذي يستقطب العديد من الفرق المسرحية المستقلة، ويات منتفسا للباحثين عن أنماط مختلفة للعروض المسرحية خارج الإطار التقليدي.

خلال العامين الأخيرين تم اقتطاع جزء كبير من المساحة التي تشغلها مؤسسة تاون هاوس داخل إحدى البنايات القديمة، وأصبحت اليوم محاصرة داخل مساحة أضيق، كما تقلص نشاطها إلى حد كبير خلال الأعوام القليلة الماضية، بعد أن توقف نشاط العروض المسرحية بها واقتصر عروضها الفنية على المشاركات المحلية.

ليس بعيدا عن تاون هاوس يستقر مركز الصورة المعاصرة، والذي لا يقل في تأثيره عن تاون هاوس، وهو يُعد أحد المراكز الفنية المهمة تحديدا بالصورة الفوتوغرافية. بدأ هذا المركز نشاطه في نهاية التسعينات من القرن الماضي واستطاع هو الآخر اجتذاب شرائح مختلفة من المواهب الشابة، غير أن ما ميز مركز الصورة المعاصرة هو نشاطه المحوظ في تنظيم عدد من المهرجانات الهامة كمهرجان "فوتوكايرو"، ومشروع "لوم لم يكن هذا الجدار". تتنوع أهداف المركز بين الفن المعاصر والبرامج التعليمية التي تخاطب وتطور الممارسة والمشاركة والخطاب الفني. تأسس مركز الصورة على يد مجموعة من الفنانين المصريين الذين يشكلون مجلس أمنائه الحالي، وهم يؤمنون بالأدوار المتعددة للصورة الفوتوغرافية. توفر مدرسة التصوير الفوتوغرافي تدريبية وورشات عمل

قوبل نشاط القاعة في البداية بشيء من الريبة والتوجس، خاصة وهم يرون ذلك الحضور اللافت وغير المعتاد للأجانب في منطقة لم تعدت على تجول تلك السحن الأوربية أو الآسيوية بين شوارعها، فهي تغريها من المناطق العشوائية الأخرى، لا تحمل ميزة سياحية تجعلها على قائمة الزيارات المستمرة للأجانب على هذا النحو، إذ يعتمد معظم نشاطها عادة على تصدير الأيدي العاملة خارج محيطها. غير أن سكان الحي بدأوا في التعود شيئا فشيئا على مثل هذه الأمور، ساعد في ذلك كون رضا من سكان هذا الحي، يعرفونه جيدا، ولا يتحرجون من طرح تساؤلاتهم البسيطة حول هذا النشاط أو تلك الأعمال الغرائبية، من وجهة نظرهم.

استطاعت هذه المساحة الصغيرة مع مرور الوقت أن تفرض نوعا من الحضور على ساحة العمل الثقافي المصري؛ فلم تعد أرت اللوا مجرد قاعة عرض بل تحولت مع الوقت إلى مساحة فنية متكاملة تقدم نشاطاتها المتعددة لجمهور عريض من الفنانين وأهالي الحي أيضا. يشمل نشاط القاعة تنظيم ورشات وندوات ولقاءات ثقافية، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للتبادل الثقافي. ومن المؤسف أن هذه المساحة قد توقفت عن العمل قبل عامين تقريبا تزامنا مع صدور قانون الجمعيات الأهلية، والذي قلص كثيرا من الدعم الذي كانت تتلقاه.

بين المساحات الأخرى ذات التأثير الكبير تأتي مؤسسة "تاون هاوس" للفنون المعاصرة والتي بدأت نشاطها الفعلي في عام 1998 في مبنى قديم وسط ورشات تصليح السيارات في وسط القاهرة، ومثلت مع مرور الوقت ما يشبه الظاهرة. لا تقتصر عروض هذه المساحة على تقديم تجارب الفنانين المصريين وحدهم بل هي تستضيف أيضا عروضاً كثيرة لفنانين أجانب، هذا خلافاً للنشاطات الأخرى المحاصية من ورشات عمل وندوات ولقاءات. حتى أنها قد أضفت على المحيط المجاور لها نوعا من النشاط الذي انعكس حتى على ذلك المقهى الملتصق لها والمعروف بـ"التكعبية" والذي انتعش وعرف بظهورها كأحد ملتقيات الفنانين والمثقفين والكتاب، والذي استطاع أن يخطف الأضواء من أماكن أخرى مجاورة له تاريخيا.

كان لمساحة تاون هاوس النصيب الأكبر من الترحشات والانتقادات، ربما لوجودها في قلب أكثر أماكن وسط القاهرة حيوية، واستقطابها لشرائح من الشباب المهتمين بهذه الأنواع الجديدة من الممارسة الفنية،

كان لمساحة تاون هاوس النصيب الأكبر من الترحشات والانتقادات، ربما لوجودها في قلب أكثر أماكن وسط القاهرة حيوية، واستقطابها لشرائح من الشباب المهتمين بهذه الأنواع الجديدة من الممارسة الفنية،

كان لمساحة تاون هاوس النصيب الأكبر من الترحشات والانتقادات، ربما لوجودها في قلب أكثر أماكن وسط القاهرة حيوية، واستقطابها لشرائح من الشباب المهتمين بهذه الأنواع الجديدة من الممارسة الفنية،

